

## الباب الأول

### العقيدة الإسلامية

#### الإسلام دين الفطرة :

الإسلام دين الفطرة ، وكل مولود يولد على الفطرة ، والفطرة تهدي إلى وجود خالق لهذا الكون ، كما تهدي إلى أنه خالق واحد ، لا أول لأوليته ، ولا آخر لآخريته ، ليس كمثل شئ ، لا ينسب إليه البنون لاستغنائهم عنهم ، ولا تفنيه السنون ، لأن حياة الخلق وموتهم بيده ، ولا يشاركه في تدبير الأمور أحد ، لأنه غنى بنفسه عن غيره ، وغيره محتاج إليه على الدوام .

ويقول سيدى ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه : إن الله تعالى عرف الإنسان به وتجلي له ، كما استنطقه وألهمه الإقرار بربوبيته ، فشاهده الإنسان ووحده ، وأخذ الله عليه عهداً بذلك ، وذلك كله في عالم آخر غير هذا العالم ، هو عالم الدرّ قبل وجود الأرواح البشرية في الأبدان . واستدل رضى الله عنه بقوله تعالى : ( وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ) .

وكلامه هذا يفسر لك قوله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ، كما يفسر لك قوله تعالى فيما حكاه عن أهل الكفر والشرك في سورة الزخرف : ( بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ) ، ولم يقبل الله منهم ذلك

التقليد الأعمى ، فقال تعالى اعتراضاً عليهم في سورة البقرة : ( أُولَٰئِكَ كَانَ  
 آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ) .

وقد ركب الخالق في المخلوق عقلاً يفكر به فيما يحيط به من الكائنات ، وهذا  
 العقل يساعد ويساند الفطرة السليمة في عقيدتها ، غير أن العقل آلة مقيدة  
 بالمحسوسات فهو يجول حول الكون ولا يستطيع أن ينفذ إلى ما وراء المحسوسات ،  
 فن اعتمد على العقل وحده دون نور الفطرة أخطأ الطريق واعتراه شكوك التيه  
 وصدق من قال :

إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب  
 وأداتا المعرفة العقل والروح ، والعقل هو الملكة المدركة للعلوم بواسطة الاستدلال ،  
 وهو الأداة التي يستخدمها في معرفة الله أرباب النظر العقلي ، والروح هي  
 الملكة المدركة للعلوم بواسطة المذاق المباشر عن وجدان سليم .

والعقيدة الإسلامية تقوم في أساسها على أنه لا إله إلا الله محمد  
 رسول الله ، فإذا نطق الإنسان بهاتين الشهادتين بلسانه ، واعتقدتهما  
 بقلبه ، فقد صار مسلماً ، وطوبى بما يترتب عليهما من الإيمانيات والعبادات  
 والمعاملات ، كما شرع الله وبلغ رسوله صلى الله عليه وسلم . وقلب المؤمن  
 مهياً بفطرته لأن يسمع الله بيقينه توحيداً وإيماناً ومجبة وإخلاصاً ، وذلك  
 فضل الله يؤتيه من يشاء ( وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمُْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي  
 قُلُوبِكُمُْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ  
 فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) .

والألوهية معناها السيادة المطلقة ، فالشهادة الأولى إقرار بسيادة الله  
 الذي لا شريك له ، والشهادة الثانية إقرار برسالة سيدنا ومولانا محمد صلى  
 الله عليه وسلم ، فإذا أقر إنسان بالشهادة الأولى وأنكر الثانية لا يعد مسلماً ،

والأدلة على ذلك كثيرة في كتاب الله الكريم ، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى في سورة الصف : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ • تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ • وَيُدْخِلِكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ • وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ) . وهذه الآيات صريحة في أن سعادة الدنيا والآخرة مرتبطة بأساس العقيدة ، وهو الإيمان بالله ورسوله . وكذلك قوله تعالى في سورة الحديد يخاطب المؤمنين بالرسول السابقة على الرسالة المحمدية ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ • لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَتَّقِدُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ) . وقد آتى الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم فضله ، ولا مانع لما أعطى الله .

ولم تكن الرسالة المحمدية الأولى من نوعها ، بل سبقتها رسالات إخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، ويجب الإيمان بهم كما يجب الإيمان به ، ويقول تعالى في هذا المقام مثلاً في سورة الحديد : ( لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ • ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي



والتَّرابِ . إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . ويقول إمامنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : عجبت لمن شك في النشأة الآخرة ، وهو يرى النشأة الأولى . ويقول تعالى في سورة الغاشية : ( أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ) ، ويقول تعالى في سورة عبس : ( فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعَيْنًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . مَتَاعًا لَكُمْ وَالْآنْعَامِكُمْ ) ، ويقول تعالى في سورة فاطر : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْتَهُوا تَوْفِكُونَ ) . أي تصرفون عن الحق .

ثم إنه تعالى بعد أن دعا العوام إلى التفكير في المحسوسات دعا أهل العلم إلى التفكير من طريق العلم ، فقال تعالى في سورة النساء : ( أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ) ، أي لو كان من عند البشر لاعتراه ما يعترض كلام البشر من تناقض المعنى ، وتفاوت الأسلوب قوة وضعفاً ، فكان بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً ، ولما تحققت أخباره الغيبية التي نبأت عن حوادث مستقبلية ، فوعدت كما صورها الله قبل أن تقع ، وليس ذلك التدبر العلمي في مقدور العوام ، بل هو من شأن العلماء الواقفين على أساليب البلاغة ودقائق البيان ورفائق المعاني ، وما يعقلها إلا العالمون .

ولقد كنت أذكر ليلاً كلمة التوحيد : « لا إله الا الله » ، وأراعى وأنا أذكرها معناها وهو : لا معبود بحق إلا الله ، وأطوى في قلبي في كل مرة من ذكرها « محمد رسول الله » ، فإذا بلبي يذهب في فسيح آفاق تلك الكلمة الحققة ، وينتهي فيما ذهب إليه إلى أنها كلمة الوجود كله ، ولولاها ما قام الوجود ولا كان موجود من إنسان وحيوان وجماد وجنّ وملائكة وسموات وأرض ونجوم وكواكب وبحار

وأنهار وجبال ، ولما قامت الرسالات السماوية ، ولما نزلت الكتب القدسية والشرائع الربانية ، ولما خلق الله جنة وناراً ، وثواباً وعقاباً ، وسعادة وشقاء في الدنيا والآخرة ، وهي كلمة التقوى بحق كما سماها الله تعالى في قوله الكريم في سورة الفتح :

( فَاتَّزَلَّ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ) .

وصدق سيدى الإمام المرسى أبو العباس رضى الله عنه إذ يقول : ليست الفتوة بالماء والملح<sup>(١)</sup> بل هي بالإيمان والهدى كما قال تعالى في أهل الكهف : (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) . وقد بين الله تعالى حكمة الخلق فقال تعالى في سورة الذاريات : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ \* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا \* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) . قال ابن عباس في معنى يعبدون أى يعرفون ، ومن ذلك يتبين لنا أن معرفة الله هي أول فرض افترضه الله على عباده

وفي مناسبة الاستدلال على وجود الله تعالى وتوحيده أرى من المفيد أن أنقل للسادة القراء رسالة كانت جاءتني في آخر سنة ١٩٦٢ من شاب مثقف - طالب بكلية التجارة - شكالى فيها حاله، وكشف عما يساوره من حيرة ، وقد أعجبتني صراحته كما أعجبتني استشارته لى ، وكان قد قرأ لى محاضرة ألقيتها بنادى التجازة فى « محبة الله تعالى » وقد أجبته حينئذ بالجواب الذى يراه القارى الكريم بعد الرسالة ، ولم أرد أن أذكر اسمه خشية أن يكون فى ذكره حرج عليه ، لأنى إنما قصدت من نشر الرسالة والرد عليها لب الموضوع .

( ١ ) يقصد بالماء والملح قوة البدن . وقوة الروح بالإيمان والهدى هي الأهم لأنها أبقي أثرها بعد الموت أما قوة البدن فتتلاشى بالموت .

وها هي ذى رسالته

القاهرة في ٣١ ديسمبر ١٩٦٢ :

السيد الأستاذ حسن كامل المطاوي

### تحية طيبة

« اسمح لي يا سيدي أن أقدم نفسي لسيادتكم :

فلان . . موظف بجهة . . طالب بكلية التجارة ، أبلغ من العمر ٢٤ عاماً ،  
أى تلك السن التي تتصارع في نفس الفرد منا رغبات عنيفة ، وتتصادم في داخل  
عقله مختلف الأفكار التي قدمتها لنا مدنية القرن العشرين مع ما قدمت من تقدم  
هاثل في نواحي العلم والفن ، إلى جانب تلك الأفكار الفلسفية المختلفة في وجود الله  
ووجود الإنسان ، في حقيقة الكون وارتباطه بالقوى الغيبية التي تسيطر عليه .

إن تلك الأفكار بتأثيرها تسيطر على أمثالنا من الشباب فإننا نشأ على الإيمان  
الفطري إذ وجدنا ذويناً مؤمنين فآمننا ، حتى إذا استقل الفرد منا بعقله وفكره بدأت  
أمواج الشك تتلاعب في مخيلته ، وبدأت أعاصير الشهوة تفرض عليه نوعاً من  
التحلل من تعاليم دينه ، وتدفعه إلى تدبير ما يرتكب من آثام ، حتى إذا بلغ  
من ذلك مبلغاً أحس باليأس والقنوط من نفسه ، فإذا هو ساخط متبرم بالحياة ومن  
عليها ، ساخط على ربه الذي خلقه ، جاعل من عقله وسيلة يسيرها على  
حسب هواه .

وهذا هو ما حدث لي عقب عدة أحداث هزت كياني . . . فشل أسلمني  
إلى نوع من الحمول والحدود إلى سلبية عجيبة أعقبتها ثورة على كل ما تعارف  
عليه الناس من تقاليد ، وكنت أحاول أن أجد تبريراً لأفعالي وتصرفاتي فلا أجد  
فأزداد انحذاراً في الهوة .

ولكن في داخلي شيء يتلوى ، شيء يهيب بي أن أرجع عما أنا فيه ، وفجأة  
أحس بالقدرة على نفسي ، على وجودي ، وأتساءل : أين الله ليعطيني كما  
أعطى غيري الهداية ، وإذا كان قد حرمني منها فلماذا خلق لي ذلك القلب  
الخفاق بالأمل والحب ، لماذا جعلني ذلك الإنسان الحساس المتألم . أين الحكمة في  
ذلك ؟ لماذا خلق لي قلباً خفاقاً وحرمنى الحب ؟ لماذا خلق لي نفساً طموحاً .

وخلق فيها الأمل وحرمنى القدرة على تحقيقه ؟ لماذا خلق العقل لأفكر وأدبر وحرمنى القدرة على تنظيم فكري وتدبير أمرى ؟

أى نموذج لعدة متناقضات أنا ؟ فأين التكامل فى خلقى ؟ أين التكامل بين قدراتى ؟ من المسئول عما وصلت إليه ؟

هل المسئول هو أنا ؟ الإنسان العاجز الضعيف الذى ليس بيده أى أمر ؟ أنا الإنسان المسير فى أعمالى ، أنا الذى جئت للدنيا دون أن أعلم ودون أن أستشار ، أنا الذى كان وجودى فى الحياة رهن قوى لا أعلمها ، أنا الذى ضيع القدر آمالى وأحلامى ،

وبعد كل هذا ماذا أفعل ؟ إلى أين أسير ؟ إني أنادى الله فى عليائه عبداً من عباده فليجبنى إن كان موجوداً ، إني أناديه باسم حقى الطبيعى الذى أعطاه لى يوم خلقنى وجعلنى عبداً من عباده وجعل لى عقلاً يفكر ، وقلباً يخفق ، ونفساً تهفو ، باسم ما حرم وما حلل ، باسم الآمال التى خلقها فى قلبى ، وباسم الفشل الذى كان من نصيبى ،

إني أناديه باسم الله باسم الرب ، إني أناديه باسم الخالق الذى خلقنى فليجبنى ، فأنا أنتظر ، أريد أن يطمئن قلبى وتهداً نفسى ، أريد أن أستريح .

لقد بعدت الشقة بيننا وبين ما سبقنا من رسله وأنبيائه ، وفى الطريق الطويل عبر القرون ضاعت معالم الإيمان وتزعزعت الحقيقة فى القلوب ، ومع موجات الفكر الجديد كادت تمحى الصورة نهائياً .

واليوم من واجب الله نحو خلقه أن يعطيهم النور الذى يهتدون به ، للنور الذى يبدد ظلمات الشك والريب التى تعصف بكيان كل شاب الآن ، إننا فى عذاب ، لقد كانت الطفرة الأخيرة التى انتقل بها جيل بعد جيل لها أكبر الأثر فى نفوسنا ، فالتقدم الهائل الذى تعيش فيه البشرية لا يقابله تقدم فى نواحي الحياة الأخرى ، فالتقاليد من وراء الحياة تلهث فلاهى مستطبعة اللحاق بالركب ولاهى تاركة الركب يسير .

والدين وأهله ورجاله فى موقف المتفرج على الحياة ، قنعوا من الحياة باللحمة التى يأكلونها وقنعوا من العلم بالكلمات التى يرددونها ، فهل تركنا الله يا سيدى ؟

وإذا كان تركنا فلماذا كان خلقنا أصلاً ؟ هل خلقنا ليتركنا ؟ لا ، فالعادل لا يترك من خلقه وذلك شأن السيد العادل ، لا يترك عبده في حيرته بل هو يقدم الهداية ويبصره بالنور .

إنني أبحث عن النور والهداية ، إنني أبحث عن الله في رحمته ومحبته ..  
 سيدي ، أظنك تتساءل : لماذا أكتب إليك كل هذا ؟ وإليك السبب ، لقد وقع بين يدي مصادفة صفحات بقلمك عن محبة الله وعشت في الكتاب وبين سطره بكل إحساسى وكيانى ، كنت أحاول أن أجد بين سطره بصيص نور أو أمل ، ولكنى وجدت نفسى بعيداً كل البعد عما جاء في الكتاب ، وأحسست أنى أتضاعل أمام كلماته ، فقررت أن أكتب إليك وأفتح قلبى وأفضى إليك يمكنون نفسى وأسألك كيف السبيل وأين الطريق ؟ »

ولذلك

فلان

وها هو ذا ردى على الكتاب سالف الذكر :

القاهرة في ٣ يناير سنة ١٩٦٣

إلى السيد . . . . .

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد - فلقد تلقيت كتابكم المحرر في ٣١ ديسمبر ١٩٦٢ ، وأبادلكم تحية بتحية ، وأشكر لك حسن ظنك بى والكتابة إلى فى موضوع شغلك وأقلق بالك ، تلتمس المخرج مما يحيرك فى أمر العقيدة ، والقضاء والقدر ، ووجود الله ، وتخلف المسلمين عن ركب الحياة . . . إلخ .

والشك الذى يساورك سرنى ، لأنه بداية السعى لليقين وتعرف الحقيقة وإنك إنما تريد أن تقوم عقيدتك على اقتناع شخصى منك ، لا تقلد فيه والديك أو غيرهما من الناس .

وهذا الاتجاه فى ذاته دليل الخير فيك ، والأمر سهل جداً وصعب جداً ، سهل لمن فكر بالمنطق الفطرى فنظر إلى وجوده من عدم ، ثم كان بشراً سويّاً ، له حيويته وتطوره من الطفولة إلى الصبا إلى الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة ، ثم هو بعد ذلك ميت لا محالة ، لا يدرأ عنه الموت أحد ، ولو اجتمع على مد حياته كل أطباء العالم ، واتخذوا فى هذا الشأن ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

ثم إنهم يعجزون عن أن يخلقوا فى غيره روحاً كالتى تدب فيه ، فإذن عجز البشر واضح فى بداية الإنسان ونهايته .

وهذا التفاوت الذى تراه بين الناس فى أرزاقهم وعقولهم وآجالهم وصحتهم كذلك يدل على تدبير ليس فى أيديهم .

فلا حيلة لك فى اختيار والديك ولا الوطن الذى نشأت فيه .

ثم هذا الكون بما فيه من بدائع المصنوعات والمخلوقات ، من شمس وقمر ونجوم وسماوات مرفوعة بغير عمد ، وليل ونهار يختلفان ، وزروع وأنهار عذبة وبحار ملحة وجبال ورمال ومعادن . . إلخ كلها . مسخرة فى خدمة الإنسان .

كل هذه الظواهر إنما تدل على وجود صانع للإنسان ولغيره من المخلوقات

والكائنات .

ولو فرضنا أن لها أكثر من صانع واحد لأدى بنا هذا الفرض إلى أن ما يصنعه واحد ، يعجز عنه الآخر بحكم تخصصه في خلق أشياء دون أشياء ، ولتصريحنا أنه لو قام خلاف بين الصانع لفسد الكون من شمس تحتجب عناداً في زميله ، ومن أنهار تغيض ، ومن نبات لا ينبت ، وتكون النتيجة موت الخلق بانعدام أسباب الحياة . إذن فالتوحيد واضح ، وإن هذا الصانع لا بد أن يكون واحداً ، وألا يكون من جنس ما صنع ، وإلا كان مصنوعاً مثل ما صنع وله صانع ، والمصنوع عاجز ومحدود ، وإذن وجوده من ذاته لا من غيره .

ومؤدى ذلك وجود صانع غير مصنوع وغير مشارك ومخالف للمصنوعات . وبما أن المصنوعات من الحوادث التي لها بداية ولها نهاية ، فلا بد ألا تكون له بداية وألا تكون له نهاية .

فثبت بهذا المنطق الوجدانية والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث وهي كلها صفات ليست للمخلوقات ، بل هي لله وحده . أما المخلوقات فلها التعدد ولها بداية ولها نهاية ولها شبيه .

وظاهرة تتكرر بين الناس في كل يوم وليلة ، هي ظاهرة النوم قهراً وظاهرة الاستيقاظ بعد النوم ، ومهما قاومها الإنسان فهي غلابة ، وهذه الظاهرة تدل على الموت المصغر وعلى البعث المصغر ، فهناك إماتة وقتية وبعث وقتي ، وهي ظاهرة تغلب فيها القوة الخفية التي تتحلى بالصفات المذكورة ، وهي قوة الله . وهذا الصانع الذي له الوجدانية والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والذي تظهر آثاره في هذا الكون المحيط بنا ، هو الله سبحانه وتعالى ، ولا شبهة في وجوده ، كما لا شبهة في الصفات الواجبة التي ذكرتها لك .

أما العقل وهو ما ميز به الإنسان فوراؤه روح تفوق العقل اتساعاً وانفساحاً ، وهي من أسرار الله ، بل إنها أوجابت عن العقل لفقد تفكيره ، والدليل أنه إذا مات الميت جمده المتحرك منه وبيست أعضاؤه ثم تفتتت عظامه وفقد عقله ، كل ذلك لخروج الروح منه التي كانت مودعة فيه بسر الحمى .

وهذه الروح جوهر لطيف وسركنا قلنا من أسرار الله ، تسعد باتصالها بالله والاعتقاد في وحدانيته ، وفي قضائه وقدره ، وفي البعث بقدرته يوم ينظر المرء ما قدمت بداه .

أما تخلف المسلمين عن ركب الحياة فإنهم تخلفوا لتركهم أسباب التقدم ، لأن الله ربط الأسباب بالمسببات ، فهو مثلاً سبحانه رازق العباد جميعاً ، ولكنه أمرهم أن يسعوا لذلك الرزق بأسبابه من زرع وتجارات وصناعات . . إلخ ، فمن ترك الأسباب فقد خالف ناموس الله ، فإذا لم يجد رزقاً لا يلوم إلا نفسه . وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » .

كذلك جعل الله النصر على الأعداء بأسبابه فقال : ( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مِمَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ) ، فمن أهمل في هذا الجانب وكتبت عليه الهزيمة لا يلوم إلا نفسه وهكذا . . . . .

ومسألة ركب الحياة ارتبطت بالعلم ومولاته ، وأنت تعلم أن المسلمين ظلوا القرون الطوال مغلوبين على أمرهم من أعدائهم ، فخلفهم عن ركب الحياة ليكون المغنم للمستعمرين والغرم على بلاد المسلمين ، ولكننا والحمد لله بدأنا في هذا العهد الأخير نسترد حريتنا ، ونبنى مجدنا ، ونرفع رؤوسنا ؛ وإن شاء الله فسنكون بالصبر والمثابرة في الطليعة بإذن الله .

أما أنك وجدت الفرق بعيداً بين ما تجد نفسك فيه وبين ما قرأته في محاضرتي عن « محبة الله » ، فذلك أمر طبيعي ، لأنك قرأت عن أهل الذروة في الإيمان ، وهم أشبه بالمتخصصين المتعمقين ، ونحن وأنتم ما زلنا في بداية طريق الإيمان ، ومن سار على الدرب وصل ، وفي الأمثال الصينية حكمة يقولون فيها : ( إذا خرجت من بيتك فقد قطعت ثلثي الطريق ) ، والنية الطيبة والإيمان الثابت يوصلان الإنسان إلى غايته بعون الله وتيسيره .

هذا ، ويسرني أن أخبرك أني سأحاضر بقاعة المحاضرات الأزهرية ( قاعة الإمام محمد عبده ) بالدراسة يوم الثلاثاء ١٥ يناير سنة ١٩٦٣ الساعة السادسة مساءً في موضوع تتصل جوانبه بما يشغلك وموضوع المحاضرة « التصوف من وحى القرآن والسنة » . وأود لو تيسر لك الاستماع يومها لما أقول .

وأكون شاكراً لو قدمت لي شخصك بعد أن اتصلت بي بالمكاتبة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ، ، ، »

حسن كامل المطاوى

## الإسلام دين عام :

وكما أن الإسلام دين الفطرة فهو كذلك دين عام ، وإليك ما يقوله في هذا الشأن فضيلة العالم المرحوم الشيخ يوسف الدجوى في كتابه « الرسائل » :

الإسلام دين عام ، جاء بإصلاح العقائد التي لعبت بها الأهواء ، مصدقاً لجميع الكتب ومهيمناً عليها ، محترماً لجميع الأنبياء ، وليس بالدين ذى الأناية الذى يعادى أربابه كل من سواهم ، ولا يعتقدون إلا فى رسولهم الخاص ، ويرمون من عداهم بالكذب والبهتان .

« . . . فكان دين الإسلام جامعاً للناس على الرسل غير مفرق بينهم قاتلاً لهم : ( قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ) .

« ويقول لأهل الكتاب : ( يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ) ، وينهاهم عما كانوا يفعلونه بقوله : ( وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاي فَاتَّقُونِ • وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) ، فهو يريد أن يجمعهم على الأنبياء جميعاً ، ويرجعهم إلى أصول دينهم الحققة .

« . . . إن تعاليم الدين الإسلامى الخنيف مبنية على أساس متين من الحكمة ، لا يزعهه شىء ، ولا يؤثر فيه مؤثر ، ومبادئه عقلية بحتة ، لم يدخلها شىء من أهوام النفس ، ولا من خرافات الاعتقادات ، ولا فاسدات العادات . . . لذلك كانت الدعوة إليه عامة ، لا تختص بعربى دون عجمى ، ولا بحضرى دون بدوى ، لموافقة مبادئه لكل الأمم على شكل واحد ونسبة واحدة ، ولذلك يسمى « الدين الفطرى » .

## الإسلام والعقل :

« . . . إن الإسلام يقول لمتبعيه : تفكروا ، تدبروا ، انظروا ، إلى كثير من

أمثال ذلك مما ورد في القرآن الكريم ، إنا نقول لبني الإنسان بصوت يملأ الخافقين ، ويسمع جميع الثقليين : حاكموا هذا الدين أمام العقل ، حاكموه أمام الوجدان ، حاكموه أمام البرهان ، حاكموه أمام المدنية والعمران ، حاكموه أمام شرائع المشرعين وقوانين المقننين وآداب المؤدبين ، حاكموه أمام أخلاقكم ومستحسن عاداتكم ، حاكموه أمام فلسفتكم وروحانياتكم ، قارنوا بين تاريخه وتواريخ الدول والأديان ، انظروا فيه بالميكروسكوب والتلسكوب ، حللوه بما شئتم من التحليلات ، امتحنوه بما أردتم من الامتحانات على شرط الإنصاف وعدم التعصب ، فستنطق ظواهره الطبيعية والروحانية بأنه منبع كل خير وجماع كل فضيلة .

### الإسلام دين الوحدانية في جميع الرسالات :

ويقول فضيلة العالم الشيخ محمد أبو زهرة ، مدّ الله في عمره ، في كتابه « العقيدة الإسلامية » :

« الإسلام دين الوحدانية ، وهو لهذا الدين الجامع بين الديانات السماوية كلها ، فهو الذي سجّل في مصدره الأول ، وهو القرآن الكريم ، أن التوحيد هو الأساس في الديانات السماوية كلها . . . ( شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ \* وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ) .

« . . . التوحيد إذن دين الأنبياء جميعاً ، وهو أقوى وحدة جامعة بين رسالات الله سبحانه وتعالى إلى خلقه . . .

« . . . ووحداية الذات الإلهية وعدم مشابهتها للحوادث ، ركن من أركان الوحدانية ، لا يسمع مؤمناً أن يجهره ، ولا يعتبر موحداً من لا يؤمن به ، وقد اتفق

العلماء على أن الله تعالى منزّه عن أن يكون مُتَّصِفًا بما تتصف الحوادث به ، فليس له يد كأيدي الناس ، ولا عين كعيونهم ، ولا وجه كوجوههم .

### الله هو الخالق الفعال :

« . . . والعقيدة الإسلامية ( في ركنها الثاني ) تقوم على أن الله تعالى خالق كل شيء ، وأنه تعالى فعال لما يريد ، وأنه لا يمكن أن يقع في ملكه إلا ما يشاؤه ، ولا مشيئة في تسيير هذا الوجود لسواه ، ولكن ذلك لا يمنع أن العبد مسؤول عما يفعل ، ومجزى بما يفعل إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وأنه تعالى الحكيم العدل اللطيف ، وأنه سبحانه كلف كل التكليفات ، والعبد مختار بالقدر الذي يتحمل به تبعه ما يفعل ، وهو يحس بأنه يفعل ما يفعل مريداً مختاراً . هذا ما تقرره النصوص القرآنية ، وما وضحته الأحاديث النبوية ، وهو ما لا يصح لمسلم أن يجهله » .

### الصحابة والقدر :

« وكان الصحابة يؤمنون بقدره الله تعالى ، وبأنه خالق كل شيء ، ويؤمنون بالقدر ولا يخوضون فيه ، بل إذا جاء القدر أمسكوا . : ولقد سأل أحد الناس الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم الله وجهه عن القضاء والقدر وصلته بالجزاء ، فأجابه بما يزيل الشبهة من غير نخوض ، ثم ختم كلامه بقوله :

« إن الله أمر تخييراً ، ونهى تحذيراً ، وكلف تيسيراً ، ولم يُعص مغلوباً ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثاً ، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار » .

### الإمام أبو حنيفة والقدر :

« ولقد قال الإمام أبو حنيفة رضي الله تبارك وتعالى عنه في القدر : هذه مسألة قد استعصت على الناس فأنّى يطيقونها ، هذه مسألة مقفلة قد ضلّ مفتاحها ، فإن وجد مفتاحها علم ما فيها ، ولم يفتح إلا بمخبر من الله تعالى ويأتيه بينة وبرهان » .

ويقول فضيلة الشيخ أبو زهرة :

« وإن الذى يستخلص من كلام إمام الهدى علىّ بن أبى طالب الذى نقلناه آفئاً ، أن علينا أن نطيع الله تعالى فيما أمرنا به ، وأن نجنب ما نهانا عنه ، وحسبنا فى ذلك أننا نعلم ونحس ونشعر بأننا مختارون فيما نفعل ، وأننا فى استطاعتنا أن نفعل وألا نفعل ، وأنه يكفى ذلك لنشعر بما يجب علينا ، وما لا يصح لنا ، إن الاشتغال عن ذلك بتعرف أمر مغلق قد ضاع مفتاحه لا يجدى فتيلاً » .

ولقد قال فى ذلك الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه :

« إن الله تعالى أراد بنا شيئاً ، وأراد منا شيئاً ، فما أرادنا بنا طواه عنا ، وما أرادنا منا أظهره لنا ، فما بالننا نشتغل بما أرادنا بنا عما أرادنا منا » .

« فهو رضى الله عنه يندد بالذين ينصرفون عن التكليف إلى الكلام فيما كتبه الله علينا من خير أوشر ، والعصاة هم الذين يبررون عصيانهم بما كتبه الله تعالى ، ومنهم الذين يثرون هذه القضية ، ليضعفوا العزائم عن العمل .

« ولقد ذكر القرآن الكريم أن المشركين قد احتجوا على عبادتهم الأوثان بأن الله تعالى لو شاء ألا يعبدوها ما عبدوها ، وردّ الله عليهم قولهم ما علموا مشيئة الله فيهم وأشركوا لأجلها ، وإليك كلام الله تعالى :

(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا، قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ . قُلْ فَلِلَّهِ الحِجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) .

« ونرى من هذا أن المشركين والمكذبين جميعاً يسندون ما يفعلونه إلى الله تعالى ، على أساس أن الله تعالى لو شاء ألا يفعلوه ما فعلوه ، وأن الحجة القائمة عليهم ألا حجة عندهم على أن الله تعالى أراد لهم ذلك ، ويؤكد سبحانه أن مشيئة الله هى الغالبة ( فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ) ولكن ذلك لا يلقى عنكم التبعة » .

### عبادة الله وحده :

« . . . وانفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والتكوين يقتضى ألا يعبد سواه ، وحدانية ذاته وصفاته وأنه ليس كمثل شئ يقتضى ألا يعبد سواه ، لأنه لا يعبد إلا من انفرد بالوجود الكامل ، وعلا عن التشبيه والنظير ، والعبادة تكون بالطريق التي بينها سبحانه وتعالى . .

« فلا نعبده بأهوائنا ، بل نعبده بما أوحى به إلى رسوله الأمين . . . . وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل ، وبعد انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، صار كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هما وحدهما الطريق لمعرفة العبادة لله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ، « تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا من بعدى أبداً ، كتاب الله تعالى وسنتي » .

### الأخبار والرهبان :

« وقد نعى الله تعالى على اليهود والنصارى أنهم اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وقال تعالى فيهم : ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ بَنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ) .

« وقد كانوا يأخذون دينهم من الأبحار والرهبان ، من غير رجوع إلى أصل الكتاب ، ويعتبرون كلامهم حجة ، من غير أن يبينوا سنده وأصله ، وبذلك كانوا أرباباً من دون الله . . . وصح ما قاله الله فيهم : ( إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) .

### الفقهاء المجتهدون :

« وليس شأن الفقهاء المجتهدين في الإسلام كشأن هؤلاء ، لأنهم مفسرون مستنبطون للأدلة من الكتاب والسنة ، فإن أصابوا في الفهم فبتوفيق الله ، وإن

أخطأوا فمن أنفسهم ، وليسوا محتكرين للفهم ، بل كل من استوفى شروط الاجتهاد له أن يتعرف الأحكام في الكتاب والسنة .

### كلمة التقوى :

ويقول فضيلة الشيخ أبو زهرة :

« والكلمة الجامعة للعقيدة الإسلامية هي شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وهي التي نرددها في كل صلاة ، وهي التي كان يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم بدعايته ، وهي التي يدعو إليها كل داع للإسلام ، وهي فيصّل التفرقة بين الكفر والإيمان ، وهي الأساس للبناء التكليفي للإنسان .

« والشهادة الأولى « لا إله إلا الله » تضمنت نفيًا وإثباتًا ، أو تضمنت قصرًا وتخصيصًا ، تضمنت نفي الألوهية عن غيره ، وتضمنت بالاستثناء بعد النفي إثبات الألوهية له .

« والألوهية هي استحقاقه العبادة وحده ، ولكن استحقاق العبودية له لا يكون إلا إذا كان هو المتفضل بالنعم وحده ، فهو الذي أنعم بالوجود ، وشكر النعم واجب بحكم العقل والمنطق .

« والشهادة الثانية « محمد رسول الله » تتضمن الإيمان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه رسول من عند الله تعالى رب العالمين ، أرسله لهداية البشر أجمعين ، وأن الإيمان بالرسالة المحمدية يتضمن الإذعان للمعجزة التي أثبت بها رسالته ، والتي تحدى بها الذين خاطبهم أن يأتوا بمثلها ، وأنه لا يمكن لأحد أن يأتي بمثلها : (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) .

« ويتضمن الإيمان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الإيمان بأن الله تعالى يكلم عباده إما بالوحي يوحيه ، وإما بخطابه من وراء حجاب ، وإما برسول من الملائكة يرسله إليه ، كما قال تعالى : (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ

اللَّهُ إِلَّا وَخِيَاءً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ، وقال تعالى : ( وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) .

وتتضمن الشهادة بأن محمداً رسول الله تصديقه في كل ما أمر به ، وكل ما نهى عنه ، سواء أكان ذلك بياناً للقرآن ، أم كان بياناً لما أوحى الله تعالى به : ( وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ) .

طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وتصديقه :

« فكل ما قرره النبي صلى الله عليه وسلم يجب الإذعان له ، على أنه حكم الله تعالى ، ( مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ) ، وقال تعالى : ( وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ) .

« فالشهادة بالرسالة تقتضى لا محالة الإيمان بصدق كل ما جاء على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيجب الإيمان بفرضية الصلاة والزكاة والحج وعدد الصلوات ، ومعاني الحج ومناسكه ، وكونه إلى البيت الحرام ، وكون ركنه الأكبر الوقوف بعرفة ، وكذلك تحريم الربا ، وتحريم الخمر والميسر والزنا ، والإقرار بأن عقوبتها هي ما جاءت في القرآن الكريم .

« ويعد كافرًا من أنكر الأحكام الثابتة في القرآن ، وكذلك يعد كافرًا من ينكر أمرًا مما علم من الحقائق الدينية بالضرورة ، وتواتر العلم به جيلاً بعد جيل ، من عصر النبي صلى الله عليه وسلم » .

الأمة المحمدية وشريعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وما بعدها :

ويقول فضيلة الشيخ أبو زهرة :

« وإن أمة محمد الذين يتبعونه حقاً وصدقاً ، هم الذين أحيوا شريعة أبي

الأنبياء إبراهيم ، ومن جاء بعده من النبيين من ناحية الأصول المقررة الثابتة التي لا تختلف فيها الأقوام ، ولذلك قال الله تعالى :

(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ). كما قال تعالى : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ).

«... فالمؤمن بمحمد مؤمن بعيسى ، والمسيحي الذي يدخل في الإسلام لا يخرج من المسيحية التي جاء بها عيسى عليه السلام ، ولكنه يدخل فيها كاملة غير منقوصة ، لأنه بشرَّ بسيدنا محمد (ومُبَشَّرًا برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد) - ولقد سئل قس دخل في الإسلام : لم خرجت من المسيحية ؟ فقال : ما خرجت منها ولكني أدركتها صحيحة ، وسرت فيها إلى كاملها ، وكاملها بالإيمان بمحمد عليه السلام - كما أن كمال الإسلام في الإيمان بكل السابقين ، بل إن ذلك ضمن أصول الإسلام » .

### الإيمان بالغيب :

ويقول فضيلته :

« والإيمان بالبعث والحياة الأخرى قرين الإيمان بالغيب ، لأن البعث ليس أمراً مشهوداً بين أيدينا ، بل هو والحياة الآخرة أمران مغيبان .

«... ولقد كان الماديون يقيسون قياساً مادياً ، والقرآن الكريم يردّ قولهم بقياس هو المحكم وحده ، فهم ينفون البعث بأن ما يفنى لا يمكن أن يعود ، وقد ذكر



والصلاح (يأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)

[سورة الحجرات . ]

وفي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم : ” لا فضل لعربي على عجمي ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى “ .

« وليس للإسلام طبقة يؤثرها على طبقة ، أو منزلة يؤثرها على منزلة ، فالناس درجات ، يتفاوتون بالعلم ، ويتفاوتون بالعمل ، ويتفاوتون بالرزق ، ويتفاوتون بالأخلاق ، (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) [سورة المجادلة] .

(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) [سورة النساء] .

(وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ) [سورة النحل] .

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [سورة الزمر] .

« وإذا ذكر القرآن الضعيف ، فلا يذكره لأن الضعف نعمة أو فضيلة مختارة لذاتها ، ولكنه يذكره ليقول للضعيف إنه أهل لمعرفة الله إذا جاهد وصبر ، وأنف أن يسخر له وقلبه للمستكبرين ، وإلا فإنه لمن الجرمين :

(يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) [سورة سبأ] .

(وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) « وَنُمْكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ » [سورة القصص] .

«وما من ضعيف هو ضعيف إذا صبر على البلاء ، فإذا عرف الصبر عليه ، فإنه لأقوى من العصبية الأشداء . (الآن خففَ اللهُ عنكم وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

« فما كان الإله الذى يدين به المسلم إله ضعفاء وإله أقوياء ، ولكنه إله مَنْ يعمل ويصبر ويستحق العون بفضل فيه ، جزاؤه أن يكون مع الله ، والله مع الصابرين .

« بهذه العقيدة غلب المسلمون أقوياء الأرض ، ثم صمدوا لغلبة الأقوياء عليهم يوم دالت الدول ، وتبدلت المقادير ، وذاق المسلمون بأس القوة ، مغلوبين مدافعين . »

ويقول كذلك ، رحمه الله ، فى ذلك الكتاب :

« . . . فقد جاء الإسلام بالدعوة إلى إله منزه عن لوثة الشرك منزه عن جهالة العصبية وسلالة النسب ، منزه عن التشبيه الذى تسرب من بقايا الوثنية إلى الأديان الكتابية .

« فالله الذى يؤمن به المسلمون إله واحد لم يكن له شركاء (سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

« وما هورب قبيلة ولا سلالة يؤثرها على سواها بغير مأثرة ، ولكنه هو (رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، (يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ) [سورة الحجرات] .

وهو واحد أحد (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [سورة الإخلاص] .

« لا يواخذ إنساناً بذنب إنسان ، ولا يحاسب أمة بجريرة أمة سلفت ، ولا يدين العالم كله بغير نذير (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [سورة فاطر] .

(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [سورة البقرة] .

(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) [سورة الإسراء] .

ودينه دين الرحمة والعدل ، تفتتح كل سورة من كتابه : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ، (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) [سورة فصلت] ، (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) [سورة الحديد] ، (وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) [سورة الأنعام] ، (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) سورة يس .

« . . . فن صميم بلاد العصبية خرج الدين الذي ينكر العصبية ، ومن جوف بلاد القبائل والعشائر خرج الدين الذي يدعو إلى إله واحد (رب العالمين) ، ورب المشرق والمغرب ، ورب الأمم الإنسانية جمعاء بغير فارق بينها غير فارق الإيمان والصلاح » .

« فالله رب العالمين مالك يوم الدين ، لم يكن نسخة محرفة من صورة الله في عقيدة من العقائد الكتابية ، بل كان هو الأصل الذي يثوب إليه من ينحرف عن العقيدة في الإله ، كأكل ما كانت عليه ، وكأكل ما ينبغي أن يكون » .

مزايا الرسالة المحمدية :

ويتعرض العلامة العقاد لنبوءة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول رحمه الله: « . . . إن النبوءة الإسلامية جاءت مصححة متممة لكل ما تقدمها من فكرة عن النبوة ، كما كانت عقيدة الإسلام الإلهية مصححة متممة لكل ما تقدمها من عقائد بنى الإنسان في الإله .

« وما نحسب أن النبوة تعظم بكرامة قط أكرم لها من التوكيد بعد التوكيد في القرآن الكريم بتمحيص هذه الرسالة السماوية لهداية الضائير والعقول ، غير مشروطة بما غبر في الأرواح ، من قيام النبوة كلها على دعوى الخوارق والإنباء بالمغيبات :

(وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا

إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ) [سورة يونس] .

(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ

الْغَيْبَ لَا سْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [سورة الأعراف] . ( قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ) [سورة الأنعام] . ( وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ ) سورة الأنعام ، فما النبوة بقول ساحر ، ولا يفلح الساحرون ، وما النبي بكاهن ولا مجنون . »

### كرامة التكليف الشرعية :

ويتعرض العلامة العقاد للإنسان، وما شرفه الله به في التكليف، فيقول رحمه الله: «... وارتفاع الإنسان وهبوطه للإنسان منوطان بالتكليف، وقوامه الحرية والتبعة، فهو بأمانة التكليف قابل للصعود إلى قمة الخليفة، وهو بالتكليف قابل للهبوط إلى أسفل سافلين ، وهذه هي الأمانة التي رفعته مكاناً فوق مكان الملائكة ، وهبطت به مقاماً إلى زمرة الشياطين :

( إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ) [سورة الأحزاب] . ( بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ) [سورة القيامة] .

«وبهذه الأمانة ارتفع الإنسان مكاناً علياً فوق مكان الملائكة ، لأنه قادر على الخير والشر ، فله فضل على من يصنع الخير ، لأنه لا يقدر على غيره ، ولا يعرف سواه ، ( وَيَذَعُ الْإِنْسَانُ بِالْإِشْرَارِ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) [سورة الإسراء] .

«وبهذه الأمانة هبط الإنسان غروراً وسرفاً إلى عداد الشياطين ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ) [سورة الأنعام] . ( إِنَّ الْمُبْتَدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ) [سورة الإسراء] .

« . . . فهذا الإنسان يتردى من أحسن تكوين إلى أسفل سافلين ، ولا يزال في الحالين إنساناً مكلفاً ، قابلاً للنهوض بنفسه بعد العثرة ، قابلاً للتوبة بعد الخطيئة ، مُحاسباً بما جنته يداه ، غير محاسب بما جناه سواه (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى • وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى) [سورة النجم] . (وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّزَمَانِهِ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ) [سورة الإسراء] . (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [سورة الأنعام] . (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ • ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ • إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) [سورة التين] . « هو مخلوق مكلف ، ذلك جماع ما يوصف به الإنسان ، تمييزاً من العجماوات ، وتمييزاً من الأرواح العلوية على السواء .

« ولهذا كان في أحسن تقويم ،

« ولهذا يرتد إلى أسفل سافلين ،

« وقوام التقويم الحسن: الإيمان ، وعمل الصالحات ، وسبيل الارتداد إلى أسفل سافلين مطاوعة الهوى ، والغرور ، والسرف ، وطغيان الغنى ، ومنع الخير ، والهلع مع البلاء ، والعجلة مع الضعف والإغراء .

« . . . ولعل الصعوبة الكبرى إنما تساور العقل في فهم قوله تعالى : ( وَكَلِمَاتٍ

شِعْرًا لَاتَّيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ) ، فلم لا يشاء الله أن توثق كل نفس هداها على السواء ؟ تذليل الصعوبة في الجواب نفسه ، فإن الهداية إذا ركبت في طبائع الناس كما تركب خصائص الأجسام على السواء بين كل جسم وجسم ، فتلك هي الهداية الآلية التي لا اختلاف بها بين مدارك الأرواح ولوازم الأجسام المادية ، ومن اختار ذلك فلنما يختار لنوع الإنسان منزلة دون منزلته التي كرمته ، وفضلته على سائر المخلوقات .

« فالعدل فيما اختاره الله للإنسان أعم وأكرم مما يختاره الإنسان لنفسه إذا هو آثر الهداية التي تسوى بينه وبين الجماد » .

أقول ، ويؤخذ مما قرره الإمام أبو بكر الكلاباذي في كتابه « التعرف

لمذهب أهل التصوف « أن الله خالق لأفعال العباد كما هو خالق لأعيانهم (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) ، وكل ما يفعلونه من خير وشر ، فبقضاء الله وقدره وإرادته ومشيتته ، ولولا ذلك لم يكونوا عبيداً ولا مربوبين ولا مخلوقين ، يقول تعالى: (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) ، ويقول: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ \* وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) ، وقد قال سيدنا عمر رضى الله عنه : يا رسول الله ، أرايت ما نعمل فيه ، أعلى أمر قد فرغ منه أو أمر مبتدأ ، فقال : « على أمر فرغ منه » . فقال عمر : أفلا نتكل وندع العمل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ، « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

ويقول صاحب جوهرة التوحيد :

موفق لمن أراد أن يصل	فخالق لعبده وما عمل
ومنجز لمن أراد وعده	وخاذل لمن أراد بوعده
كذا الشقي ثم لم ينتقل	فوز السعيد عنده في الأزل

هوى النفس وضرره :

أقول : ومطابقة هوى النفس هو شر ما يصيب الإنسان ، فقد حذرنا الله من هواها ، ونصحنا أن ننھاها ، وبيّن لنا أنها أمانة بالسوء ، أى شديدة الإمارة ، كما بيّن لنا ما سيكون يوم القيامة من ربح مخالفتها وخسارة مطاوعتها في مثل قوله تعالى في سورة التازعات : (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى \* يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى \* وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى \* فَأَمَّا مَنْ طَغَى \* وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى \* وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) ، وشتان بين العقاب والثواب .

وينصحنا سيدى ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه فيقول : حظ النفس في المعصية ظاهر جليّ ، وحظها في الطاعة باطن خفيّ ، ومداواة ما يخفى صعب علاجه ، كما يقول : إذا التبس عليك أمران ، فانظر أظلمهما على النفس

فاتبعه ، فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً ، ويقول كذلك : إنما تحتاج إلى معالجة نفسك في الابتداء ، فإذا ذقت المنة ، جاءت معالجة النفس اختياراً ، فالخلاوة التي كنت تجدها في المعصية ترجع تجدها في الطاعة .

أقول : ولا يخفك أن الشيطان عدو مبين ، ومن آثار عداوته أنه يزين للنفس حب الشهوات ، ليعصى العبد بها ربه ، فيشارك الشيطان في المعصية ، وقد حذرنا الله منه ومن كيده في قوله تعالى : ( إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ) ، وتقتضى عداوته أن نخالفه اتقاء لشره ، وقد صور الله عاقبة مطاوئعه أقوى تصوير ، وكشف لنا أنها تنحط بنا إلى خسة الحيوان في قوله تعالى في سورة الأعراف : ( وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ \* وَكَوْشَيْنَا لِرَفْعَانَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) .

ويعصور لنا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف الطبائع وتباينها في قبول دعوة الحق فيقول صلى الله عليه وسلم : « إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً ، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله تعالى به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » جعلنا الله وإياك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب .

تفسير وحدانية الذات :

وقد نقل فضيلة الشيخ أبو زهرة عن الإمام الأشعري رضي الله عنه تفسيره

لوحداية الذات في كتابه مقالات الإسلاميين فقال :

«إن الله واحد أحد ، ليس كمثل شئ ، وهو السميع البصير ، وليس بجسم ولا شبح ، ولا جثة ولا صورة ، ولا لحم ولا دم ولا شخص ، ولا جوهر ولا عرض ولا بدى لون ولا طعم ، ولا رائحة ولا محسة ، ولا بدى حرارة ولا برودة ، ولا رطوبة ولا يبوسة ، ولا طول ولا عرض ولا عمق ، ولا اجتماع ولا افتراق ، ولا بدى أبعاد أو أجزاء ، ولا جوارح ولا أعضاء ، وليس بدى جهات ، ولا بدى يمين وشمال ، وأمام وخلف ، ولا يحيط به مكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولا تجوز عليه المماسة أو العزلة ، ولا الحلول في الأماكن ، ولا يوصف بشئ من صفات الخلق الدالة على حدوثهم ، ولا يوصف بأنه متناه ، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات ، وليس بمحدود ، ولا والد ولا مولود ، لا تدركه الحواس ، ولا يقاس بالناس ، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ، ولا تجرى عليه الآفات ، ولا تخل به العاهات ، وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير شبيه له .

« ولم يزل أولاً سابقاً متقدماً للحادثات ، موجوداً قبل المخلوقات ، ولم يزل حيناً قادراً ، ولا تحيط به الأوهام ، شئ لا كالأشياء ، عالم قادر حتى لا كالعلماء القادرين الأحياء ، وأنه القديم وحده ، ولا إله سواه ، ولا شريك له في ملكه ، ولا وزير له في سلطانه ، ولا معين على إنشاء ما أنشأ ، وخلق ما خلق ، لم يخلق الخلق على مثال سبق ، وليس خلق شئ بأهون عليه من خلق شئ آخر ، ولا بأصعب عليه منه ، ولا يجوز عليه احتراز المنافع ، ولا تلحقه المضار ، ولا يناله السرور واللذات ، ولا يصل إليه الأذى والآلام ، ليس بدى غاية فيتناهى ، ولا يجوز عليه الفناء ، ولا ياحقه العجز والنقص ، تقدس عن ملامسة النساء ، وعن اتخاذ الصاحبة والأبناء .

المتشابهات في القرآن الكريم :

يقول الله تعالى في سورة آل عمران : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ

إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ • رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ  
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) .

ويقول العلماء إن التشابه في القرآن الكريم نوعان : متشابه لفظي وهي  
الحروف التي في أوائل السور ، ومتشابه معنوي كقوله تعالى : (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ  
أَيْدِيهِمْ) ، وقوله تعالى : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) ، وقوله تعالى :  
(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) ، وقوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) إلخ .  
وقد قال السلف : نحن نؤمن بما قال الله على ما أراد الله من غير تأويل ،  
أما رأى الخلف فهو التأويل بمعنى أن اليد تطلق على القدرة ، والوجه على  
الذات إلخ . . ولكن اتفق السلف والخلف على نفي التشبيه عن الله تعالى ،  
استناداً إلى قوله سبحانه : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ، وهي آية نفت التشبيه  
بحرفي الكاف والمثل ، فكأنه تعالى يقول : ليس كهو شيء ، وليس مثله  
شيء ، وكذلك يقول تعالى : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) ، كما يقول جل  
جلاله : (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) ، والقاعدة التي نخرج بها من كل ما تقدم  
هي : كل ما خطر ببالك فهو هالك ، والله بخلاف ذلك ، والأسلم لنا والحالة  
هذه أن نقول : نؤمن بالتشابهات على ما أراد الله منها .

وقد سئل الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه : لماذا تركت علم الكلام — أى  
الكلام في التوحيد — إلى الفقه ؟ فقال رضي الله عنه : « إن الخطأ في العقيدة  
يرى صاحبه بالكفر ، أما الخطأ في الفقه فإن صاحبه يرى بالمخالفة » .

وجاء في حاشية الإمام الباجوري على الجوهرة : سأل رجل الإمام مالكا  
عن قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ، فأطرق رأسه ملياً ثم قال : الاستواء  
معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أظنك  
إلا ضالاً ، فأمر به فأخرج .

وسأل الزنخشي الإمام الغزالي عن الآية المذكورة فأجابه بقوله :  
إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية ، فكيف يليق بعبوديتك أن

تصفه تعالى بأين أو كيف وهو مقدّس عن ذلك ثم جعل يقول :

قل لمن يفهم عنى ما أقول  
ثم سرّ غامض من دونه  
أنت لا تعرف إياك ولا تد  
لا ولا تدري صفات ركبت  
أين منك الروح في جوهرها  
وكذا الأنفاس هل تمصرها  
أين منك العقل والفهم إذا  
أنت أكل الخبز لا تعرفه  
فإذا كانت طويالك السى  
كيف تدري من على العرش استوى  
كيف يحكى الرب أم كيف يرى  
فهو لا أين ولا كيف له  
وهو فوق الفوق لا فوق له  
جل ذاتاً وصفات وسما

قصر القول فذا شرح يطول  
قصرت والله أعناق الفحول  
رك من أنت ولا كيف الوصول  
فيك حارت في خفاياها العقول  
هل تراها فترى كيف تجول  
لا ولا تدري متى عنك تزول  
غلب النوم فقل لى يا جهول  
كيف يجرى منك أم كيف تبول  
بين جنبيك كذا فيها ضلول  
لا تقل كيف استوى كيف التزول  
فلعمري ليس ذا إلا فضول  
وهو رب الكيف والكيف يحول  
وهو فى كل النواحي لا يزول  
وتعالى قدره عما تقول

السادة الصوفية وتوحيد الله تعالى :

أقول وما قاله السادة الصوفية فى التوحيد :

إنّ قُلْتُ متى ، فقد سبق الوقت كونه . .

وإنّ قُلْتُ أين فقد تقدّم المكان وجوده . . .

لا تجتمع صفتان غيره فى وقت ، ولا يكون بهما على التضادّ ، فهو باطن  
فى ظهوره ، ظاهر فى استتاره ، فهو الظاهر الباطن ، القريب البعيد ، امتناعاً بذلك  
عن الخلق أن يشبهوه . .

ليس لذاته تكليف ، ولا لفعله تكليف . .

لا تدركه العيون ، ولا تهجم عليه الظنون ، ولا تنغير صفاته ، ولا تبدل  
أسماءه ، لم يزل كذلك ، ولا يزال كذلك ، هو الأول والآخِر ، والظاهر والباطن ،  
وهو بكل شىء علم ، ليس كمثل شىء ، وهو السميع البصير .

وأجمعوا على أن القرآن كلام الله تعالى على الحقيقة ، وأنه ليس بمخلوق ولا محدث ولا حدث ، وأنه مثلو بألسنتنا ، مكتوب في مصاحفنا ، محفوظ في صدورنا ، غير حال فيها ، كما أن الله تعالى معلوم بقلوبنا ، مذكور بألسنتنا ، معبود في مساجدنا ، غير حال فيها .

وأجمعوا على أنه تعالى يُرى بالأبصار في الآخرة (أى بلا إحاطة كما سيأتي) وأنه يراه المؤمنون دون الكافرين ، لأن ذلك كرامة من الله تعالى ، لقوله: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) ، وجاءت الرواية بأن الزيادة هي الرؤية: (وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) ؛ في حين يقول في الكافرين: (لَإِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّخُجُونَ) . وقوله تعالى: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) في الدنيا ، كذلك في الآخرة ، وإنما نفي الله الإدراك بالأبصار ، لأن الإدراك يوجب كيفية وإحاطة ، فنفي ما يوجب الكيفية والإحاطة دون الرؤية التي ليست فيها كيفية وإحاطة . ولو لم تكن الرؤية جائزة عليه تعالى ، لكان سؤال موسى عليه السلام: (أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) جهلا وكفرا ، ولما علق الله تعالى الرؤية بشرطة استقرار الجبل بقوله: (فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) وكان ممكناً في العقل استقراره لو أقره الله .

وقالوا في هذا المقام إن الله تعالى اطلع على قلوب خلقه ، فوجد أشوقها إليه قلب مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعجل له الرؤية في الدنيا ليلة المعراج ، قبل أن يراه المؤمنون في الآخرة ، فخص من بين الخلائق بهذه الرؤية ، كما خص سيدنا موسى عليه السلام بالكلام ، واحتجوا بخير ابن عباس وأسماء وأنس رضي الله عنهم وبنوه سيدي العارف بالله الشيخ أحمد الحلواني الحلبي رضي الله عنه بتلك الرؤية في قوله :

بالعين قد شاهدته متفردا فالعين فلتنعم بهاتيك النعم  
أكرومة لك لا تضاهي رفعة مخبوءة لك يا مقرب في القدم

ويقول المغفور له الشيخ الباجوري في حاشيته على جوهرة التوحيد : وقد نفت

السيدة عائشة رضی الله عنها وقوع الرؤية للنبي صلى الله عليه وسلم ، لكن قدم عليها ابن عباس لأنه مثبت لأنه رأى ربه سبحانه وتعالى بعيني رأسه وهما في محلها ، خلافاً لمن قال حولاً لقلبه ، والقاعدة ( أى الأصولية ) أن المثبت مقدم على النافي ، حتى قال معمر بن راشد : ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس : وأضاف الشيخ رحمه الله : وكان صلى الله عليه وسلم يراه تعالى في كل مرة من مرات المراجعة [ انظر التفصيل في مبحث الإسراء والمعراج في المباحث التالية ] .

وجاء في الحاشية المذكورة كذلك :

أما رؤيته تعالى مناماً ، فنقل عن القاضي عياض أنه لا نزاع في وقوعها وصحتها ، فإن الشيطان لا يتمثل به تعالى كما لا يتمثل بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وذكر بعضهم الخلاف ، وقال بعضهم إن الشيطان يتمثل بالله دون النبي ، والفرق أن النبي بشر ، فيلزم في التمثيل به اللبس بخلاف المولى سبحانه فأمره معلوم . وحكى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه رأى المولى سبحانه وتعالى في المنام تسعاً وتسعين مرة وقال : وعزته إن رأيته تمام المائة لأسأليه فرآه فقال : سيدى ومولاي : ما أقرب ما يتقرب به المتقربون إليك ؟ قال : تلاوة كلامي ، فقال : بفهم أو بغير فهم ، فقال : : يا أحمد بفهم وبغير فهم .

أقول وما أوسع فضل الله على عباده من العلماء وغيرهم ، وهو الغنى عنهم وعن عملهم ، وقد دخلت على شيعي العارف بالله سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى في أواخر عمره ، طيب الله ثراه ، فوجدته أبيض الوجه ، مع أنه كان قمحى اللون ، وكان شعر ذقنه كأسلاك الفضة بريقاً ، وعجبت يومها لمنظره الذى كان ينطق بولايته حتى لمن يراه أول مرة دون معرفة سابقة ، وبعد أن سلمت عليه جلست أتطلع إلى أنواره الباهرة ، فإذا به يقول لى فى انكسار واضح : دا ربتنا ده عظيم جداً ، إذا كان الواحد يراه تعالى وكأنه نور فى نور ، ويقول : أنا أغفر لعبدى ولا أبالى ، ثم أضاف رضى الله عنه : وصحيح ها يبالى من مين ؟ فعلمت أنه قائم من النوم بعد هذه الرؤيا مباشرة ، وعلمت كذلك أنه قريب الانتقال إلى رضوان الله وهو ما كان ، طيب الله قراره .

## الشيخ الأكبر والتوحيد :

وفي كلمتي الشهادتين : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، يقول سيدي الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه في الباب السابع والستين من الفتوحات :

شهد الله لم يزل أزلا أنه لا إله إلا هو الله  
ثم أملاكه بذا شهدت أنه لا إله إلا هو الله  
وأولو العلم كلهم شهدوا أنه لا إله إلا هو الله  
ثم قال الرسول قولوا معي إنه لا إله إلا هو الله  
أفضل ما قلته وقال به من قبلنا لا إله إلا الله

« قال الله جل ثناؤه في كتابه العزيز : ( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) ، ثم قال : ( إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله » الحديث ، فقال سبحانه : ( وَأُولُو الْعِلْمِ ) ولم يقل وأولو الإيمان ، فإن شهادته بالتوحيد لنفسه ما هي عن خبر فيكون إيماناً ، ولهذا الشاهد فيما يشهد به لا يكون إلا عن علم ، وإلا فلا تصح شهادته . ثم إنه عز وجل عطف الملائكة وأولو العلم على نفسه بالواو ، وهو حرف يعطى الاشتراك ، ولا اشتراك هنا إلا في الشهادة قطعاً ، ثم أضافهم إلى العلم لا إلى الإيمان ، فعلمنا أنه أراد من حصل له التوحيد من طريق العلم الفطري أو الضروري ، لا من طريق الخبر كأنه يقول : وشهدت الملائكة بتوحيدي بالعلم الضروري من التجلي الذي أفادهم العلم ، وقام لهم مقام النظر الصحيح في الأدلة ، فشهدت لي بالتوحيد كما شهدت لنفسي ، وأولو العلم بالنظر العقلي الذي جعلته في عبادي ، ثم جاء بالإيمان بعد ذلك في الرتبة الثانية من العلماء ، وهو الذي يعول عليه في السعادة ، فإن الله به أمر ، وسميناه علماً ليكون المخبر هو الله ، فقال تعالى : ( فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) ، وقال تعالى ( وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ )

حين قسم المراتب في آخر سورة إبراهيم من القرآن العزيز ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح : « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة » ، ولم يقل هنا « يؤمن » فإن الإيمان موقوف على الخبر وقد قال تعالى : ( وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ) ، وقد علمنا أن الله عبادًا كانوا في فترات وهم موحدون علمًا ، وما كانت دعوة الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة ، فيلزم أهل كل زمان الإيمان ، فعم بهذا الكلام جميع العلماء بتوحيد الله ، المؤمن منهم من حيث ما هو عالم به من جهة الخبر الصدق الذي يفيد العلم ، لا من جهة الإيمان وغير المؤمن ، فالإيمان لا يصح وجوده إلا بعد مجيء الرسول ، والرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن تسمّ إلها ، وأن ذلك الإله واحد لا بد من ذلك ، لأن الرسول من جنس من أرسل إليهم ، فلا يختص واحد من الجنس دون غيره إلا لعدم المعارض وهو الشريك ، فلا بد أن يكون عالمًا بتوحيد من أرسله وهو الله تعالى . . .

« فإذا قال العالم : لا إله إلا الله لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له : قل لا إله إلا الله ، عن أمر الله ، سمى مؤمنًا ، فإن الرسول أوجب عليه أن يقوها ، وقد كان في نفسه عالمًا بها ، وخيرًا في التلطف بها . وعدم التلطف بها ، فهذه مرتبة العالم بتوحيد الله من حيث الدليل ، فن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة بلا شك ولا ريب وهو من السعداء ، فأما من كان في الفترات فيبعثه الله أمة وحده كقس بن ساعدة لا تابع له لأنه ليس بمؤمن ( أى لم يكن إيمانه بأخذ الدين عن الرسول ) ولا هو متبوع لأنه ليس برسول من عند الله بل هو عالم بالله . . .

« فإذا جاء الرسول وبين يديه العلماء بالله وغير العلماء بالله ، وقال للجميع قولوا : لا إله إلا الله ، علمنا أنه صلى الله عليه وسلم في ذلك القول معلم لمن لا علم له بتوحيد الله من المشركين ، وعلمنا أنه في ذلك القول أيضًا معلم للعلماء بالله وتوحيده أن التلطف به واجب ، وأنه العاصم لهم من سفك دمائهم وأخذ أموالهم وسبى ذراريهم ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم



القائل لا إله إلا الله لا يكون مؤمناً إلا إذا قالها ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
فلذا قالها لقوله فهو عين إثبات رسالته ، فلما تضمنت هذه الكلمة الخاصة  
الشهادة بالرسالة لهذا لم يقل قولوا : محمد رسول الله . . .

« واعلم أن التلطف بشهادة الرسالة المقرونة بشهادة التوحيد ( أى فى قول القائل  
لا إله إلا الله محمد رسول الله ) فيه سر إلهى عرفنا به الحق سبحانه ، وهو أن الإله  
الواحد الذى جاء بوصفه ونعته الشارع ما هو التوحيد الإلهى الذى أدركه العقل ،  
فإن ذلك لا يقبل اقتران الشهادة بالرسالة مع الشهادة بالتوحيد من حيث ما يعلمه  
الشارع ، ما هو التوحيد من حيث ما أثبتته النظر العقلى . . . »

### دليل الوحدةانية :

يقول كذلك سيدى الشيخ الأكبر فى الباب الثانى والسبعين ومائة فى مقام  
التوحيد :

« أحد ما مثله أحد      بجمال النعت منفرد  
الذى قام الوجود به      أمرنا عليه يتعقد

« اعلم أن التوحيد التعامل فى حصول العلم فى نفس الإنسان أو الطالب بأن الله  
الذى أوجده واحد لا شريك له فى ألوهيته ، والوحدة صفة الحق ، والاسم منه  
الأحد والواحد ، وأما الوحدةانية فقيام الوحدة بالواحد ، فالتوحيد نسبة فعل من  
الموحد يحصل فى نفس العالم به أن الله واحد .

« قال تعالى : ( لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ) ، وقد وجد الصلاح  
وهو بقاء العالم ووجوده فدل على أن الموجد له لو لم يكن واحداً ما صح وجود  
العالم . . .

« وهكذا استدل الخليل عليه السلام فى الأقوال ، فأعطاه النظر أن الأفول  
يناقض حفظ العالم — فالإله لا يتصف بالأفول ، أو الأفول حادث لظروئه على  
الأفل بعد أن لم يكن أفلا — والإله لا يكون محلاً للحوادث . . . قال تعالى فى  
قصة إبراهيم هذه : ( وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا لِإِبْرَاهِيمَ ) ولم يكن له غير هذا ،

فقله حجتنا أى مثل حجتنا التى نصبناها دليلا على توحيدنا وهى قولنا  
(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) .

### فى الحلول والاتحاد عن الصوفية :

أقول وقد طعن بعض أهل العلم على الصوفية بأنهم خرجوا على التوحيد الصحيح وقالوا بالحلول والاتحاد ، واستندوا فى اتهامهم هذا إلى ما ذهب إليه طوائف زائغة عن الإسلام تدعى أنها صوفية ، وهؤلاء لا يعيننا من أمرهم شئ .  
والصوفية الذين نعتد بهم ونعتز ، هم المتمسكون بالكتاب والسنة ، وهؤلاء يجب أن نحسن الظن ببعيدتهم ، لأنهم أهل علم وعمل وحوال ، وقد تكون لهم عبارات تدق عن فهم غيرهم ، فيخفى مقصودهم منها على من لم يذق ذوقهم فيرميهم بماهم منه برآء .

فالاتحاد حيث ورد فى كلام السادة الصوفية الصادقين ، لا يقصدون به اتحاد ذات فى ذات ، وحاشا أن يتحد القديم الخالق بالحدث المخلوق ، وإتمامهم يقصدون به فناء مراد العبد فى مراد الله تعالى ، كما يقول سيدى على وفا رضى الله عنه :

وعلمك أن كل الأمر أمرى هو المعنى المسمى باتحاد

وقد قلت فى كتابى « منهاج الصوفية » الذى نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى أغسطس ١٩٦٦ :

ويرمى أعداء التصوف سيدى محيى الدين بن عربى وهو شيخ التصوف الأكبر بالحلول والاتحاد ، مع أنه يقول فى كتابه الفتوحات المكية ما نصه :

« وأعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذى يتوهمه بعضهم ، أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شئ ، وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها ، وإنما كان القمر مجلاها ، فكذلك العبد ليس فيه شئ من خالقه ولا حل فيه » .

وقال رضى الله عنه شعراً :

« ودع مقالة قوم قال عالمهم بأنه بالإله الواحد اتحدا

الاتحاد محال لا يقول به إلا جهول به عن عقله سردا  
وعن شريعته وعن حقيقته فاعبد إلهك لا تشرك به أحدا»

وقد نبه سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى مقدمة كتاب  
« اليواقيت والخواهر » إلى أن سيدى محيى الدين بن عربى كان متقيداً بالكتاب  
والسنة ، ويقول :

كل من رى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك ، وجميع ما لم يفهمه الناس  
من كلامه إنما هو لعلو مراتبه ، وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة ،  
وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه . وأضاف رضى الله عنه : كما أخبرنى  
بذلك سيدى الشيخ أبو طاهر المغربى نزيل مكة المشرقة ، ثم أخرج لى نسخة  
الفتوحات التى قابلها على نسخة الشيخ التى بخطه فى مدينة قونية ، فلم أرفيها  
شيئاً مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات . . .

ويقول كذلك سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى كتاب  
« لواقع الأنوار القدسية » :

« وقد توقفت حال اختصار الفتوحات المكية فى مواضع كثيرة ، لم يظهر لى  
موافقتها لما عليه أهل السنة والجماعة ، فحذفتها من هذا المختصر ، وكنت أظن  
أن المواضع التى حذفتها ثابتة عن الشيخ محيى الدين ، حتى قدم علينا الأخ  
العالم الشريف شمس الدين المدنى ( المتوفى سنة ١٩٥٥هـ ) فذاكرته فى ذلك ،  
فأخرج لى نسخة من الفتوحات التى قابلها على النسخة التى عليها خط الشيخ  
محيى الدين نفسه بقونية ، فلم أرفيها شيئاً مما توقفت فيه وحذفته ، فعلمت أن  
النسخ التى فى مصر الآن كلها كتبت من النسخة التى دسوا على الشيخ فيها ما يخالف  
عقائد أهل السنة والجماعة ، كما وقع له ذلك فى كتاب الفصوص وغيره . »

أقول : وسيدى الشيخ محيى الدين هو القائل : « ما قال بالاتحاد إلا أهل  
الإلحاد ، وما قال بالحلل إلا من دينه معلول ، وهو القائل ( باب ١٩٩ فتوحات ) :  
القديم لا يكون قط محلاً للحوادث ، ولا يكون حالاً فى المحدث . وإنما الوجود الحادث  
والقديم مربوط بعضه ببعض ربط إضافة وحكم ، لاربط وجود عين بعين ،

فإن الرب لا يجتمع مع عبده في مرتبة واحدة أبداً « فهل بعد هذا الكلام الصريح والصحيح يرmon الشيخ الأكبر بالحلول والاتحاد ، وحاشاه .

أما وحدة الوجود التي ينسبها أعداء الدين إلى السادة الصوفية ، ويتهمون بها سيدى الشيخ الأكبر محي الدين ، فقد بين أمرها الدكتور عبد الوهاب عزام رحمه الله حين قال :

« ينبغي أن يفرق بين وحدة الوجود التي رآها بعض فلاسفة اليونان ووحدة الوجود في رأى العطار وغيره من الصوفية ، فالفلاسفة يرون أن الروح والمادة شيء واحد ، والصوفية يفرقون بين الله والعالم ، ولكن يرون أن هذا العالم الظاهر لا وجود له حقاً ، وإنما الوجود لله تعالى ، فليس هو العالم ولا العالم هو » .

أقول ومن كلامه تدرك أن الصوفية على عقيدة صحيحة ، وهي أن الله تعالى واجب الوجود ، وهو الذى يمد كل الممكنات بالوجود ، فوجود الممكنات ليس وجوداً ذاتياً ، بل هو بإيجاد الله تعالى ، وهو مفهوم وحدة الوجود عند الصوفية ، وشتان بين فهمهم الصحيح وفهم الفلاسفة الخاطى .

ويقول العارف بالله سيدى مصطفى البكرى فى نفي الحلول والاتحاد فى كتابه :  
« السيوف الحداد فى أعناق أهل الزندقة والاتحاد » :

دعوى الحلول والاتحاد جهالة      والوصل ثم الفصل جل الله  
والحق نزه عن خطور خواطر      بالبال قد خطرت تعالى الله  
واتبع شريعة أحمد خير الورى      من حاد عنه ربنا أوداه

وإليك ما قاله الإمام أبو الحسن النورى ، رضى الله عنه :

أما القرب بالذات فتعالى الله الملك الحق عنه ، فإنه يتقدس عن الحدود والأقطار والنهاية والمقدار ، ما اتصل به مخلوق ، ولا انفصل عنه حادث مسبوق به ، جلت الصمدية عن قبول الوصل والفصل .

قرب هو فى نعتة محال ، وهو تدانى الذوات . وقرب هو واجب فى نعتة ، وهو قرب بالعلم والرؤية ، وقرب هو جائر فى وصفه يخص به من يشاء من عباده ، وهو قرب الفضل باللطف .

أقول : وقرب الفضل باللفظ هذا ، هو مقام في التصوف يذوقه الخواص من أولياء الله ، ولا يعبرون عنه بألفاظ ، لأنه فوق التعبير ، ويقول فيه الإمام الغزالي رضي الله عنه : يضيق نطاق النطق عنه ، وكل الذي أقوله لكم :

فكان ما كان مما لست أذكره فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

وقال عنه الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي عنه :

أما طريق الخاصة فطريق مسلوك ، تضمحل العقول في أقل القليل من وصفه ، وبنوه بمقام القرب هذا سيدي الشيخ يوسف النهباني في قوله :

لا تسئل وصف جبههم فهو سر بسوى الذوق ما له إفشاء

أقول : ومن ذاق عرف . وأردد قول شيخي وسيدي الشيخ علي عقل طيب الله ثراه من إلهامه الفوري الذي نقلناه عنه ، وكان إلهامه يتدفق من عطاء الله يتدفق السيل الجارف كما هو مشهور :

وماكل السقاة له بساق	شراب الحب يعرف بالمذاق
وقلّ الصادقون فما تلاق	دعاة الحب أكثر ماتلاق
من الشهوات طهّر والنفاق	وليس بعاشق من لا تراه
به أسمو من الأخرى المراق	إذا ما عشت لا أنسى إلهي
ولو بلغت بي الروح التراق	يعزّ على ترك الحب عندي
تعال املاً كؤوسك من حقائق	ألا يا ساق العشاق مهلا
شغلت عن الخلائق باشتياق	تركت جميع خلق الله دوني
محال أن يميل إلى فراق	ومن عرف المحبة عن يقين

ولتقريب مذاق السادة الصوفية للقارئ العزيز ، ننقل إليه ما قاله سيدي ذو النون المصري في مناجاته :

« إلهي ، ما أصغيت إلى صوت حيوان ، ولا إلى حفيف شجر ، ولا خرير ماء ، ولا ترنم طائر ، ولا تنغم طل ، ولا دوى ريح ، ولا قعقة رعد ، إلا وجدتها شاهدة بوحدايتك ، دالة على أنه ليس كمثلك شيء » .

أقول : أرأيت في مناجاته كيف فنى عن نفسه وبقي بربه ، فلاً الله عليه فراغ قلبه ، فلم ير آثار الكون في ذاتها ، بل رأى فيها آيات مولاها ، فحقق ما يوجهنا إليه العارفين في قولهم : ما خلق الكائنات لئراها بل لئرى فيها مولاها .

### همة الخواص :

ويحكى لنا سيدى ذو النون المصرى رضى الله عنه أنه رأى امرأة ببعض سواحل الشام قال : فقلت لها : من أين أقبلت رحمك الله ؟ قالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، قلت : وإلى أين تريدن ؟ قالت : إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، قلت صفيهم لى ، فأنشأت تقول :

قوم همومهم بالله قد علقت      فما لهم همم تسمو إلى أحد  
فطلب القوم مولاهم وسيدهم      يا حسن مطلبهم للواحد الأحد

أقول ، وقد شمل الوصف المتقدم خواص الأمة المحمدية ، كما شمل أهل الصفة ما وصفهم به الله تعالى في وصاية الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بهم في قوله تعالى في سورة الكهف : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) . وقد جاءت تلك الوصاية بعد قصة أهل الكهف الذين كانوا في أمة سابقة ، وتعلقت همتهم بالله تعالى ، فوصفهم سبحانه بقوله في السورة نفسها : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى \* وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ ن شَطَطًا \* هُوَ لَاءَ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا \* وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ

رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) ، وقد احتسبوا في الله تعالى فحماتهم وآوهم في رعايته ، وقال سبحانه : ( وَتَحَسَّبُهُمْ أَيَقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ ) ، وشملت رعاية الكلب الذى أحبه وتعلق بهم : ( وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) ، ثم أراهم آية في رعايتهم حيث أنامهم في الكهف أكثر من ثلثمائة سنة ، فلما قاموا قالوا : ( لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ) .

وفى قوله تعالى : ( فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ) يقول الإمام القشيري رضى الله عنه فى « لطائف الإشارات » : أخذناهم عن إحساسهم بأنفسهم ، واختطفناهم عن شواهدهم بما استغرقناهم فيه من حقائق ما كاشفناهم به من شهود الأحذية ، وأطلعناهم عليه من دوام نعت الصمدية . وفى قوله تعالى : ( إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ) قال فى إشارات رضى الله عنه : يقال إنهم فتيه لأنهم آمنوا على الوهله بربرهم ، آمنوا من غير مهلة لما أتتهم دواعى الوصلة . ويقال فتيه لأنهم قاموا لله ، وما استقروا حتى وصلوا<sup>(١)</sup> إلى الله . وفى قوله تعالى : ( وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ) يقول رضى الله عنه : لاطفهم بإحضارهم ، ثم كاشفهم فى أسرارهم ، بما زاد من أنوارهم ، فلقاهم أولا التبیین ، ثم رقاهم عن ذلك باليقين . ويقال : ( رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ) بأن أفنيناهم عن الأغيار ، وأغنيناهم عن التفكير بما أوليناهم من أنوار التبصر ، ويقال ربطنا على قلوبهم بما أسكنا فيها من شواهد الغيب ، فلم تسنح فيها هواجس التخمين ولا وساوس الشياطين .

وفى قوله تعالى : ( لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ نَسَطْنَا ) قال رضى الله عنه : من أحال الشئ على الحوادث فقد أشرك بالله ، ومن قال إن الحوادث من غير الله فقد اتخذ إلها من دونه .

(١) الوصول إلى الله معناه الوصول إلى حضرة يشهد فيها أفاعل إلا الله ، فيذوق ذلك بإحساسه ذوق الواصلين ، كما رأيت فى مناجاة سيدى ذى النون المصرى التى مرت عليك .

أقول : ولأن الإيمان بالله تعالى وتوحيده سبحانه توحيداً خالصاً من كل شائبة هو أساس الأعمال الصالحة ولا تقبل بغيره ، فقد قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في سورة الزمر : (وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) ولئن كان الخطاب له صلى الله عليه وسلم فالمقصود به أمته من باب : إياك أعنى واسمعى يا جارة .

والإيمان به سبحانه يقتضى الإيمان برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإخوانه النبيين والمرسلين الذين سبقوه في الدعوة إلى الله ، وكذلك الإيمان بكل ما جاء به من البعث بعد الموت ، والجنة ، والنار ، والثواب والعقاب ، وكذلك ما أخبرنا به من الغيبات الأخرى كالملائكة ، والجن ، والعرش ، والكرسى ، والحوض ، والميزان ، وصحف الأعمال . . إلخ لأنه سبحانه وتعالى يقول في سورة البقرة :

(آلَمَ \* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ \* أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) .

وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الأمور وتركنا كما قال على مثل البيضاء ليها كنهها لا يزيغ عنها إلا هالك . نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتباعه ، والتأسي به في عقيدته ، وأقواله ، وأفعاله ، وأحواله ، بمنه تعالى وكرمه ؛ وقد ترك لنا من بعده صلى الله عليه وسلم التراث الخالد والنور المبين في الكتاب والسنة ، فن تمسك بهما فقد اعتصم بالله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .